إيمان المقلد
عند علماء المسلمين

الدكتور
اسماعيل محمد قرنى

كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
جامعة صلاح الدين

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين

وبعد:

فقد جعل الله لواء الإيمان رفاقة واصله ثابت في قلوب المؤمنين الاوفياء الوهاجة، وعلم عباده أن ينزهوه عن الاشباه والنظائر المخلوقة، ليكونوا على دراية بكل ما يتصف به رب العزة من صفات الكمال ومباينة الخالق عن المخلوق، وهيأ لهذا العلم أنبياء ليكونوا مستدلين على غرس الإيمان ونبذ الشرك ليخرجوا من الظلمات إلى النور بأذن ربهم ويهديهم الى صراط مستقيم، وأيدهم بالمعجزات البينات ليقيموها حجة على صدق دعوتهم وقوة براهينهم القائمة على اطراف الشريعة السمحاء وفند تقليد الابناء للآباء في العقيدة الوثنية الباطلة المدافعين عنها من غير نظر أو اتباع دليل، فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[1] فانتقاء العقل عن الانسان التابع لغيره من غير دليل ولا علم بما عليه لا يثمر لفاعله بشيء سوى الهلاك، مثلهم كمثل الدابة التي تتبع داعية مصدقاً بأصواته مطمئناً الى تصرفاته، ثم يأخذه ويذبحه أو يخدعه فيما أغرته بها من أساليب وقد اخترت هذا الموضوع (إيمان المقلد عند العلماء المسلمين)، لنوضح معنى التقليد ومدى صحة إيمان من يقلد غيره في مسائل العقيدة وإيمان من استمر على إيمانه بفطرته وأخذ التعليم عن والديه

(١) البقرة ١٧٠.

المسلمين جازماً على تصديقه غير متردد لنكون على دراية كاملة على مدى قبول إيمان المقلد ورده وفق ما جاء في القرآن والسنة النبوية مستعيناً بآراء العلماء المهتمين بهذا الموضوع.

وقد ركزت على أهمية النظر في الاسلام ونبذ الشرك والانقياد لله تعالى بعيداً عن التردد والشك في الإيمان لينضم الانسان الى اجزاء الوجود الخاضعة لله تعالى الساجدة له قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[1]. واستخلصت إلى نتيجة أن إيمان المقلد العامي المسلم الجازم مقبول، وإيمان المقلد المتردد غير مقبول اصلاً فهذه كلمات يسير قدمتها راجياً الله تعالى أن يتقبله منا نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) الحج ١٨.

المبحث الأول
الإيمان والتقليد
في اللغة والاصطلاح

من الأمور المهمة في هذا الموضوع بيان معنى الإيمان والتقليد عند علمـــاء اللغة، وعلماء العقائد ليتسنى لنا الاطلاع على جوانب التقليد وقبول إيمان المقلد أو رده وسنتناول ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: الإيمان والتقليد في اللغة

أولاً: الإيمان لغة

مصدر مأخوذ من أمن يأمن وهو مطلق التصديق والاذعان[1]، فكل شـــيء يصدق به القلب ويذعن له ويقبله يقال له في اللغة " إيمان، سواء كان ذلك الشـيء الذي صدقه القلب خيراً أو شراً صحيحاً أو فاسداً.

ثانياً: التقليد لغة

مصدر قلد يقلد تقليداً اتبعه، ومنه قلد الرجل السيف القى حمله السيف في عنقه، وقلد البعير الى جعل في عنقه حبلاً يقاد به، ويؤخذ منه أيضاً القلادة وهي مـا تجعل في العنق، وكذلك قلد الأمير الولاة، الاعمال[2].

---

(١) ترتيب القاموس المحيط، ج١، ص ١٨١ – ١٨٢.

(٢) ترتيب القاموس المحيط، ج٣، ص ٦٧٣ – ٦٧٤. وينظر: أساس البلاغه ٧٨٥ وينظـــر لسان العرب ج١١، ص ٢٧٥.

ويبدو من المعنى اللغوي ان من صدق قول الغير واذعن له من غير نظر وتأمل في دليله كمن كلف بتنفيذ آمر من غير تفقه ما يريد من آمره، أو فكرته وإساليبه، أو كالتابع للغير من غير معرفة نواياه.

المطلب الثاني: الإيمان والتقليد في الاصطلاح

أولاً: الإيمان في الاصطلاح

الإيمان عند العلماء هو عين المعنى اللغوي ولكنهم يريدون عليه قيوداً خاصة بهم كأهل الفن والصنعة في هذا التخصيص، فيعرفونه (هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان)[1] وعرفه آخرون بقولهم: (وهو تصديق القلب واذعانه وقبوله لكل ما جاء به الاسلام وثبت عن الرسول ﷺ [2] وهذا التعريف اشمل وادق في تعريف الإيمان.

يظهر من هذا التعريف أن من آمن بقلبه وأذعن لما جاء به الرسول ﷺ من عند الله وعمل بما آمر الله به ورسوله ومات على هذا الإيمان يعتبر مؤمناً كاملاً، أما من آمن بقلبه ولم يعمل بالاركان يعتبر مؤمناً غير كامل ولكن لا يخلد في النار إذا مات واصل الإيمان عنده باق.

فما دام الإيمان محله القلب، فللقلب نزعات نحو الخير تارة، ونحو الشر تارة أخرى، فاعلى أنواع الخير وأعظمها بالنسبة الى أعمال القلب بالإيمان بالله ﷻ وأخطرها على الاطلاق، تصديق القلب وجزمه على عقيدة فاسدة، كالاشتراك بالله أو تكذيب ما ثبت وروده بالضرورة في دين الاسلام.

---

(١) شرح العقائد النسفية: التفتازاني، ص ٢٥٧.

(٢) العلم والإيمان، القسم الثاني، ص ٤٩.

وعلى هذا الاساس فأن الانسان يبحث عن دليل يقول إيمانه ويثبته عليه فيلجأ الى الاستدلال على وجود الله بإمكان السموات والأرض وبحدوث الاجسام وزوالها وتقلبات الليل والنهار وعدم تطبيق رغبات الانسان فيما لا يدخل تحت تصرفه، فأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[1]،

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يستدل ويستخدم النظر للوصل الى الحقيقة ليكون من الموقنين قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[2]، أي فلما زال الكوكب ع الانظار وانتقل من الافق قال لا احب الزائلين[3]، واخذ الاستدلال عن الأنبياء العلماء ليقيموا الحجة على المنكرين ليوصلوهم الى الحق، فقد استدل الامام الشافعي على وجود الله تعالى بقوله (أن الانسان في حال كمال خلقته وتمام عقله وقدرته لا يقدر ان يخلق لنفسه سمعا وبصرا أو يرد جارحة سقطت منه لا عند الانفراد ولا بمعونة الأمثال والانداد فلأن يتعذر عليه خلق نفسه في حال كونه ماءاً مهيناً ونطفة ضعيفاً قال سبحانه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[4] فنبه الله سبحانه بذلك على أن الولد لا يخلقه والده لأنه يتمنى ولا يكون ويكره فيكون فبين سبحانه أن تصويره الجنين في الرحم من المني لم يكن على إرادتنا وكان خالقه ومصوره هو الله الخالق البارئ المصور[5].

---

(١) ينظر نور الاسلام، ص ٢٤.

(٢) الانعام: ٧٥ – ٧٦.

(٣) ينظر نور الاسلام، ص ٢٥، ينظر الكوكب الازهر شرح الفقه الاكبر. ص ٥٤ – ٥٥.

(٤) الواقعة (٥٨، ٥٩)

(٥) الكوكب الازهر شرح الفقه الاكبر: ص ٥٦ – ٥٧.

ثانياً: التقليد في الاصطلاح

يتداخل التعريف الاصطلاحي للتقليد مع المعنى اللغوي، إلا أنهم جعلوه جامعاً لافراده مانعاً من دخول الغير فيه، فيقول علماء الكلام (التقليد هو الأخذ بقول الغير من غير أن يعرف دليله)[1] والمراد بالأخذ اعتقاد مضمون المأخوذ ويشمل القول والفعل والتقرير من غير أن يعرف دليله يظهر من هذا التعريف. أن المقلد يأخذ قول غيره في الاعتقاد قولاً وعملاً من غير أن يعرف دليل من يقلده ويرى أن الحق في كلامه، فيكون بذلك تابعاً له كيفما يوجهه صاحبه بلا مناقشة ولاتدبر في آرائه واقواله.

وعرفه الشوكاني بقوله "هو العمل بقول الغير من غير حجة فيخرج العمل بقول الرسول ﷺ والعمل بالاجماع ورجوع العامي الى المفتي، ورجوع القاضي الى شهادة العدول، فإنها قد قامت الحجة في ذلك[2].

الفرق بين التقليد والاتباع:

التقليد عند جماعة من العلماء غير الاتباع، لأن التقليد هو الأخذ بقول الغير بغير حجة كما بينا، وأما الإتباع فهو سلوك التابع طريق المتبوع، وأخذ الحكم من الدليل بالطرق التي أخذ بها متبوعه، فهو اتباع للقائل على أساس ما اتضح له من دليل على صحة قوله، وهذا بخلاف التقليد الذي يحاكي فيه الشخص قول غيره دون معرفة دليله ومعنى قوله.

---

(١) تحفة المريد ٢٠ –٢١ وينظر مجموع مهات المتون: ١٩٤ متن جمع الجوامع وأبهى القلائد: ١١.

(٢) ينظر: ارشاد الفحول ص ٨٦٠.

والله ﷻ ذم التقليد في آيات كثيرة منـــها قولـه ﷻ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾[1] فيجب القول باتباع الحجة والانقياد للدليـل، دون تقليد شخص بعينه، لان التقليد ممنوع في الشريعة[2].

(١)التوبة: من الآية٣١.

(٢) أصول الفقه الاسلامي. د. وهبة الزحلي ص ١١٢١/ الجزء الثاني ويراجع اعلاه الموقعين ج٢، ص ٧٨.

المبحث الثاني
الحث على النظر وذم التقليد

لقد كرم الله الانسان وفضله على كثير من مخلوقاته وسخر له ما في السموات وما في الأرض واطلق يده لاعمار الأرض واحقاق الحق ودحض البلطل، ويتحقق ذلك باستخدام العقل والنظر في ملكوت السموات والأرض، وبيان ذلك في مطلبين.

المطلب الأول: الحث على النظر[1]

لو تأملنا في آيات القرآن الكريم وتمعنا فيها لانجلى لنا أن الله ﷻ يأمرنا باستخدام النظر تارة وإقامة البراهين العلمية تارة أخرى على زرع اليقين كزراعة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حيث في قلوب المؤمنين المطمئنة بالإيمان والثابت عليه الذي لا يتزعزع باقوال المنكرين مما اشتدت الاسباب والدوافع والذين يريدون أن يؤمنوا بخالق الكون ومنشئه من العدم.

لقد آمر الله تعالى عباده أن يتأملوا في ملكوت السموات والأرض ويروا عظمة الخالق في مخلوقاته ويقوى العلاقة بينه وبين ربه فالآمر بالنظر بصيغة (أنظر) ورد من القرآن الكريم (٢٦) مرة.وبصيغة (انظروا) (٩) مرات، وتكرار الآمر بهذا العدد يفيد الوجوب إذ يجب على كل إنسان حسب مقدرته العلمية النظر لترسيخ

---

(١) هو الفكر الذي يطلب به من قام به علماً او غلبة الظن وهو قسمان: ١- الصحيح: هو كل ما يؤدي الى العثور الى الوجه الذي منه يدل الدليل. ٢- الفاسد: هو ما عدا الصحيح ينظر كتاب الارشاد، ص ٣.

الإيمان بالله في قلبه وتطبيق ما جاء به رسوله من وحي وشرع وهذا باعث على عدم قبول الإيمان من غير قناعة فيما يدين به وما يدين له.

فأول ما امر الله به عباده أن يعتقدوا أن هذا الكون مخلوق لله ﷻ فلا خالق سواه فيقول تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الايات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[1] فالآمر هنا جاء بالنظر في تصرف الايات وخضوع الكائنات لأمر الله ﷻ فاذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون، ويقول ﷻ آمراً الانسان بالتنقل في أرجاء الأرض والنظر في ابتداء الخلق: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأرض فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الاخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] فالانسان خلق في الأرض بعد أن تم خلق كل شيء من السموات والأرض إذ قال: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾[3] ولكن يريه من آيات بدء الخلق كل سنة بداية نزول الماء على التراب ويحدث الحياة من جديد ثم ينتهي ويتجدد فيقول: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[4] فيتولد لدى العاقل إيماناً كاملاً بمطلق قدرة الله تعالى على خلقه، المتصرف في أرجائه كيف يريد، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويعلم أن قدرة الانسان محددة فلا تجرى إلا فيما سخر الله له واطلق يده في اعمار الأرض فأن النظر الصحيح الموصل المعارف واجب، ومدرك وجوبه الشرع لأن الاحكام

---

(١) الأنعام من الآية ٦٥.

(٢) العنكبوت ٢٠.

(٣) الكهف ٥١.

(٤) فاطر ٩.

التكليفية يؤخذ من الادلة السمعية، والدليل هو الذي يتوصل بصحيح النظر فيها الى ما لا يعلم في مستقر العادة اضطرار وهو قسمان عقلي وسمعي[1].

ويعلم أن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ونزال الماء من السماء الى الأرض آيات من عظمته فلا بد للمخلوق في ايجاد شيء من ذلك سوى الله تعالى فالإيمان الذي يحصل عند الانسان نتيجة اتباع الوحي واستمرار الفطرة التي فطر الناس عليها، والتصديق والاذعان لله تعالى يتولد منه الإيمان بمعاقبة المتمرد عن ربه والمنكر لالوهيته، إذ يقول: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] و﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[3] و﴿المنذرين﴾[4]، لأن العبد إذا تمرد على خالقه، تلقاه الشياطين فيحل به الغضب من خالقه من غير أن يرد عنه أحد كما أهلك الله قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم موسى وقوم لوط، فإذا لم يؤمن الانسان بقدرة خالقه ولم يذعن له لا يقبل إيمانه ويوشك أن يقع به ما وقع على اسلافه من قبل فقال ﷻ: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[5] فإذا ايقن الانسان بأن عاقبة المجرم الكذاب المنكر لبعثة رسل الله الهلاك

---

(١) ينظر كتاب الارشاد، ص ٨.

(٢) الاعراف ١٠٣، النمل ١٤.

(٣) يونس ٣٩، القصص ٤٠.

(٤) يونس ٧٣، الصافات ٧٣.

(٥) إبراهيم ٤٥ – ٤٧.

والدمار ويصبح شاذا في هذا الوجود فيعود الى الخالق ويؤمن به ولا يخرج عن حكمه، فماذا بعد الحق إلا الضلال، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(١)

ويبدو من خلال آيات القرآن الكريم أن الإيمان الناشيء عن النظر واليقين هو الإيمان المأمور به والمقرون بدعوة الرسل، الذين يبنون الدعوة الى هذا الإيمان ويقيمون الحجة على العباد، فقال ﷻ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(٢)، قوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٣) أي لئلا يبقى لمعتذر العذر(٤) يقدمه يوم القيامة بين جهله بالشريعة والعقيدة الصحيحة.

حصول الإيمان بالدليل:

إذا تمعنا في القرآن الكريم يتضح لنا أن الإيمان المطلوب من بني الانسان هو الإيمان المستند الى الدليل كل حسب قدرته العقلية ومقدرته العلمية، إذ لم يكتف الخالق جل وعلا بما خلق عليه الانسان من العقل والفطرة بل اصطفى من بينهم رسلاً مؤيدين بالمعجزات والآيات الدالة على عظمة الله ووحدانيته الكاشفة عن بدائع صنعه وسعة قدرته واحاطته بالمخلوقات وعلى سبيل المثال: أول ما نظر فيه نبيه إبراهيم عليه السلام هو النظر في معبود القوم ليبرهن لهم بطلان معتقداتهم ويوصلهم إلى المعبود الحق، فقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ

---

(١) الأعراف: من الآية ٥٤.

(٢) النساء ١٦٥.

(٣) الاسراء ١٥، الأنعام: ٧٥ والآيات التي بعدها إلى الآية: ٨٣، إذ يفند ويبطل ما يعبدونه بالبرهان الإقناعي ثم يصوب نظرهم إلى عبادة الواحد، الأحد، لأن النظر الصحيح يحصل العلم بالمنظور فيه على الاتصال، بتصرف النظر ولا يتأتى من الناظر الجهل بالمدلول عقب النظر مع ذكره له، ينظر كتاب الارشاد ص٦.

(٤) ينظر تفسير أبن كثير، ج١، ص٥٨٨.

وَالأرض وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[1] كيف يكون من الموقنين من غير دليل إذ أفحم قومه بعد أن حطم أصنامهم وناظرهم فقال ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2].

يبدو من هذه الآيات جملة أمور:

لفت أنظار قومه إلى أن الهتهم لا تنفهم شيئاً ولا تضرهم.

اعتراف قومه يعجز الالهة وعدم قدرتهم على النفع والضرر.

اعترافهم بأنهم هم الظالمون وعلى عقيدة باطلة، وأن النبي ابراهيم على الحق المبين.

أسف النبي إبراهيم عليه السلام على تعطيل عقلهم وعدم استخدامه في الحق الذي لا ريب فيه، إذ قال لهم: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ وبهذا يعلم أن الإيمان المأخوذ عن الدليل يوصل الانسان إلى اليقين ولا يخفى مناظرته مع أبيه[3] ومع الذي حاجة في ربه[4]

---

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) الانبياء ٦٥ – ٦٧.

(٣) سورة مريم: ٤١ – ٥٠.

(٤) سورة البقرة ٢٥٨. وكذلك آية ٢٥٩. في أمامة الرجل الذي مر على القرية واحيانه واعترافه بعظمة الله.

وطلبه إحياء الموتى إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1].

وكذلك خاطب الله ﷻ عالم الأنس بأن يقبلوا البرهان الدال على عظمته ويؤمنوا بالكتاب المنزل عليهم فهو النور الذي يهتدي به في الظلمات، فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾[2]. فالواجب على كل إنسان عاقل ان يتبع الهدى ويستخدم النظر والبصيرة في قبول الحق واتباعه واعلان الإيمان بالله عن طريق القناعة الآتية عن البرهان الآتي من الله تعالى، لأن الخطاب دالة على أن الانسان حر في اختيار طريق الخير أو الشر حسب قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3] وقوله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[4] وقول ﷻ: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[5]، فلا يكون الانسان رهين اعماله إلا اذا كان حراً في البحث عن الدليل مجتهداً في حقيقة إيمانه وبعكسه سيحاسب على تلقيه عقيدة باطلة، إذ التكليف بالإيمان يأتي للعاقل بعد أن كان عنده استعداد لقبول الإيمان عن طريق الرسل، فلا يقبل إيمان إلا عن طريق رسل الله المؤيدين للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وإزالة العقبات وعدم قبول المخلوق، عبادة غير الله ﷻ، وبطلان المعتقد الوثني المستحدث من قبل العباد المحرفة للإيمان والمكفرة له والمغطية له، ومن جهة أخرى ندرك أن البارئ ﷻ يرشدنا الى آياته دالة على وجدانيته وعظمته ليستدل العالم بها عند المناظرة لظهور الحق بقول ﷻ:

---

(١) سورة البقرة ٢٦٠.

(٢) النساء ١٧٤.

(٣) الكهف ٢٩.

(٤) المدثر ٣٨.

(٥) الطور: ٢٠.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾[1] يخبرﷻ أنه من آيات عظمته انه خلق من التراب الجامد بشراً ذا عقل وإدراك قادر على الاعمار والبناء وإردف هذه الآية خمس مرات أخرى قوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ وبختمها بـ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات﴾ مقرونه بقولهﷻ (يسمعون، يتفكرون، يعقلون، عالمين) فكل من فكر وسمع وايقن وعمل بما علم يكون من المجتهدين والموقنين في مسائل الإيمان بالله عن طريق النظر والاستدلال المأمورين بهما من القرآن الكريم، كما ورد ((ومن آياته)) في سورة الروم أيضاً الآية ٤٦، وسورة فصلت، الآية ٣٧، ٣٩ وسورة الشورى الآية ٢٩، ٣٢، إضافة الى ورود (آياتنا، وآيات وآية) (٣٣٢) مرة في سورة القرآن الكريم، ولفظ (آياتي) أربع عشرة مرة.

ولدى دراسة هذه الآيات يتضح أن اللهﷻ يريد من الإنسان أن يختار عبادة خالقه انطلاقاً من آياته المسموعة والمرئية والمعقولة ليتحد ظاهره وباطنه تجاه ربه ليتميز عن المنافق الذي يخالف ظاهره باطنه، وعن الكافر الذي خرج عن الفطرة وتمرد عن الإيمان بربه، فالأنبياء عالجوا ظاهرة الكفر ونوروا الطريق

---

(١) الروم: ٢٠، ورد لفظ (ومن آياته) خمس مرات أخرى يقول تعالى (ومن آياته أن خلق لكم كمن أنفسكم اروحاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض وأختلاف السنتكم والوانكم أن في ذلك لآيات للعالمين، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون. ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون وله من في السموات والأرض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت إيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافوهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل أتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين) الروم: ٢٨ – ٢٩.

الصحيح أمام من يسعى للهداية ويريد الوصول اليها، لان الله ﷻ جعلهم هداة للبشر فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الامُورُ﴾[1].

فلو جمعنا بين الفطرة ودعوة الرسل سنحصل على استدلال عند كل إنسان باحث عن الحق حسب قدرته العقلية وفطرته السليمة واستجابته لدعوة الرسل الداعين الى اليقين.

المطلب الثاني: التقليد من خلال آيات القرآن الكريم ونظرة العلماء

أن التقليد هو إتباع الانسان لغيره في اعتقاده من غير معرفة دليله، بحيث لو أمره بما يريده نفذ مد قبل له من غير تمعن وتفحص[2]، كان يتبعه اتباع الاعمى لمن يقوده، فأن التقليد في مسائل الاعتقاد أمر مرفوض لانه يتوقف عليه أمور الدين بالضرورة، إذ ورد ذم التقليد في آيات كثيرة من القرآن الكريم نذكر بعضاً منها لنوضح موقف القرآن من التقليد يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[3]، يبين الله تعالى أن المقلد يتبع دين آبائه من غير سؤال عن حقيقة دينهم ومعتقدهم فهم يتمسكون به بالتعصب والحمية الجاهلية للآباء الذين نفى الله عنهم العقل والتدبر وأثبت لهم الضلالة والنية فلا يهتدون سبيلاً، ثم يشبه الله حال الكفار

---

(١) الشورى ٥٢، ٥٣.

(٢) ينظر متن جمع الجوامع في كتاب مجموع مهمات المتون، ص١٩٤.

(٣) البقرة: ١٧٠- ١٧١.

في دعائهم الاصنام وتقليد الاباء كمثل البهائم التي تسمع الصوت ولا نفهم ما تحته[1]، يقول أبو السعود.

(أن المراد من الآية الثانية، تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر لهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته)[2] من القصد والمعنى سوى الصوت.

ويشبه الرازي دعاء الكفرة للاصنام بالناعق في دعائه عند الجيل فأنه لا يسمع الا صدى صوته، لذلك الكفار لا يسمعون إلا صدى صوتهم عند الأصنام[3]، فهم لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه ولا يتفهمون بالحق.

وكذلك يلفت الله ﷻ انظار عباده الى أن يتبعوا ما هو خير لهم وما يربطهم بربهم، بعيداً عن الشرك وتقليد الآباء والاجداد الخارجين عن دائرة الفطرة والحق، الرافضين لدعوة الانبياء، يقول ﷻ ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ... بِهِ كَافِرُونَ﴾ لدى وقوفنا عند هذه الآيات تتضح لنا جملة أمور:

١. أن الكفرة يجعلون أنفسهم في دائرة الجبر، إذ يرجعون عبادتهم للاوثان إلى مشيئة الله، وهذا ما فنده الله بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾، لأنهم اختاروا عبادة غير الله باختيارهم وعن طريق التقليد والتعصب لعقيدة آباءهم الكفرة.

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير: ج١، ص ٢٠٤.

(٢) تفسير ابي السعود بها من تفسير الرازي: ج٢، ص ١٢٠.

(٣) تفسير الرازي، ج٢، ص١١٨.

٢. يريد الله ﷻ للعباد أن يعبدوه عن علم ودراية وقناعة متمسكين بوحي من الله كي لا يقعوا في شراك التقليد إذ قال: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

٣. اعلان تعصبهم وتقليدهم الأعمى لآبائهم غير ملتفت للحق ولا دليل يوصلهم إلى الحق، إذ يربطون هدايتهم بمنهج آبائهم غير خارجين عن توجيهاتهم ووصاياهم الذي قادهم الى الهلاك بعذاب الله في الدنيا والخلود فيه يوم الدين.

٤. أن أقوام الأنبياء على مر الازمان عندما دعوا الى الإيمان بالله تعالى تمسك المتنعمون بزخارف الدنيا ونعيمها بدين الآباء خشية زوال ما هم عليه حسب ظنهم، فأعلنوا رفضهم لدعوة النبيين المهديين.

٥. يلفت الله أنظار المشركين الى أن يقارنوا بين عقيدة آبائهم وما جاء به النبي عند الله فيختاروا ما هو الحق ويتبعونه ولكنهم رفضوا المقارنة وبقوا على دين آبائهم واعلنوا كفرهم صراحة: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

٦. لجوء المشركين المقلدين الى اسلوب السخرية واظهار التعجب في دعوة الانبياء ورفض الآلهه المصنوعة، وجعلها الهاً واحداً قال تعالى ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلا مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الاخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلا اخْتِلاقٌ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾[1] فهذا

(١) ص: ٤-٨.

أعلان صارخ يرفض الحق واتباع الباطل ونصرة دين الآباء تعصباً من غير دليل كما فعل قوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم موسى وغيرهم من الاقوام الأخرى فاشتركوا جميعاً في تكذيب الرسل قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾[1] ولو بحثنا عن التقليد الأعمى في آيات أخرى اوقفنا البحث عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[3].

يبدو من آية المائدة ولقمان أن الرسل لما قالوا لهم اتبعوا ما أنزل الله من التشريع والتوحيد وامرهم به لجاؤا الى رفضه وركنوا الى منهج آبائهم مع علمهم بأن اباءهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون سبيلاً[4]، وأن الشيطان يدعوهم الى العذاب الشديد ولينظموا الى جنده وليكونوا من أولياءه، بعد أن زين لهم أعمالهم، وبهذا يظهر ان من ترك ما أنزل الله وكذب الرسل، وعبد غير الله وتعصب لدين الآباء من غير استخدام النظر اصبح من المقلدين الذين غضب الله عليهم من الأمم السابقة بسبب رفضهم الفطرة فرفضهم الله تعالى، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

---

(١) ق: ١٢ – ١٤.

(٢) البقرة: ١٧٠.

(٣) لقمان: ٢١.

(٤) ينظر تفسير البيضاوي، ج١، ص٢٨٦.

وكذلك تظهر النتيجة الحقة، وهي رفض التقليد، واتباع الحق عن طريق الدليل واقامة البراهين على تثبيته. قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾.

بعض أقوال العلماء في المقلد

تناول العلماء إيمان المقلد بالبحث والدراسة ليصلوا الى نتيجة: أن التقليد في فروع الدين للعامي جائز، كأن يأخذ من مذهب معين، وإذا قاده يجب العمل به[1] علم دليل من يقلده، ومنعه آخرون، أما التقليد في اصول الدين فحرمه جمع غفير من العلماء وعدوا ذلك اجماعاً، وعلى المكلف وجوباً معرفة الله تعالى وأنها لا تحصل بالتقليد لثلاثة أوجه[2].

١. أن يجوز المكذب على المخبر فلا يحصل بقوله العلم.

٢. أنه لو افاد العلم لافاد بنحو حدوث العالم من المسائل فإن قلد واحد في الحدوث والآخر في المقدم كانا عالمين بهما فيلزم حقيقتهما وأنه محال[3].

٣. أن التقليد لو حصل العلم، بأنه صدق فيما أخبر به، أما أن يكون ضرورياً، فلا سبيل الى الأول ولا بد من دليل كما طلبوا من العامي أن يعرف الدليل الموصل الى معرفة الله، حسب معرفته ومقدرته العقلية والعلمية. سئل اعرابي عن وجود الله تعالى فقال: (البعرة تدل على البعير واثر الاقدام يدل على المسير اقسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج إلا يدلان على اللطيف

---

(١) ينظر متن جمع الجوامع ضمن كتاب مجموع مهمات المنون، ص ١٩٦.

(٢) ينظر تفسير روح المعاني: الآلوسي: ج٢٦، ص ٦٣.

(٣) تفسير روح المعاني، ج ٢٦، ص ٦٢.

الخبير)[1]. فهذا عامي مؤمن بدليل المشاهدة جازم في اعتقاده غير متردد يزداد إيمانه وينمو بكثرة الذكر والتقرب من الله تعالى ويجب على العامي أن يعرف ما يعلم من الدين بالضرورة، كمعرفة وحدانية الله تعالى وأنه حي عليم حليم لا يشبه أحداً من خلقه ولا يشبهه احداً من خلقه، فما شاء فعل ولا راد لقضائه وهو المحي والمميت واليه المرجع والمصير بيده ملكوت كل شيء.

فيفهم من قول الاعرابي أنه كان جازماً في اعتقاده الذي حصل لديه عن طريق فطرته السليمة ودليل المشاهدة أن لهذا الوجود خالقاً أوجده، ولا بد من انقياد المخلوقات له، ومن عصاه لا يعذر، فكل إنسان آمن بوحدانية الله تعالى وعلم أنه متصف بصفات الكمال ليس كمثله شيء بيده ملكوت كل شيء يعد مؤمن صادقاً ناجياً من العذاب صادقاً في إيمانه مستدلاً على الخالق بخلقه[2]، فيدخل في هذا الإيمان كما من آمن منذ صباه منشأ على هذا الإيمان وجزم بوجود الله تعالى وحدوث العالم فيعتبر مستدلاً مؤمناً جازماً في إيمانه وإن أخذ عن عالم إيمانه تقليد أو حدث عنده يقيناً كاملاً، وما يذعن أحد من العامة أو الأعراب للإيمان فيأتي بكلمته إلاّ بعد أن ينظر فيهتدي لذلك، وذكر الإمام الأشعري بإن التقليد إن كان اخذ لقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يقبل إيمانه لانه لا إيمان مع أدنى شك أو تردد، فيعد ذلك مرفوضاً رفضاً قاطعاً[3]، وكذلك منع الرازي التقليد في الاعتقاد واوجب النظر، لان الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ﴾[4]،

---

(١) ينظر كتاب التوحيد الماتريدي، ص ١.

(٢) ينظر شرح جلال الدين المحلي على متن جمع الجوامع، ص ٤٠٤ – ٤٠٥ بتصرف.

(٣) المصدر نفسه والصحفة نفسها.

(٤) سورة محمد : ١٩.

وقال تعالى للناس: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١]، فالامر بالاتباع وحصول العلم يولد اليقين لدى الانسان ويخرجه عن دائرة التقليد الى الاطمئنان والقناعة بما يقيمه من دليل.

ويبدو من هذا البيان أن التقليد لغيره بأن أخذ قول الغير ورضى به ولكن في مسائل الاعتقاد متردد عن دليله أو لا يعرف دليله ولم يطلع على معتقده غير مقبول إيمانه، بل يجب عليه البحث والنظر قدر المستطاع، وكذلك من تقلد غيره تقليداً أعمى، بأن قال: "أن كان فلان مؤمناً فانا عليه يقينه وأن رأى غير ذلك أو ارتد فأنا مع اعتقاده، فهذا الإيمان مرفوض تماماً فلا يقبل منه قطعاً، أما إذا اعتقد إيمان من يقلده وجزم بدليله فلا مانع من هذا التقليد لدى جمهور العلماء، وفي هذا الصف عامة المسلمين الذين نظروا في ملكوت السماوات والأرض وجزموا بصدق ما جاء به النبيﷺ ويقيم عليه الدليل حسب علمه ويعد هذا المقلد مستدلاً ناظراً في أدلة الوجود. وينبغي عليه أن يصدق ما جاء به النبي ﷺ ويعرف أنه غير مجتهد في تتابع الادل واستنباط الاحكام، وان يمسك عن الجدل والمراء، وأن لا يخوض في مسائل الاصول على طريقة المتكلمين[٢].

---

(١) الاعراف: ١٥٨.

(٢) ينظر الجام العوام عن الخوض في علم الكلام: ص ٤.

الحكم على إيمان المقلد:

لا خلاف في أن اصل اضطراد الفطرة أمر ضروري مقبول لدى العلمـــاء وإذا استمر في إيمانه واتبع والديه المؤمنين مقراً لادلتهم الاجمالية مصدقاً مطمئنـاً إلى إيمانهم يعتبر مؤمناً ملتزماً مقبولاً.

لأن الإيمان أمر قلبي باطني والعمل امر ظاهري بعكس ما عليه من التطبيـق والإيمان بالله تعالى، فمن وافق عمله إيمانه يعد مؤمناً كاملاً، ولكن من آمن بقلبـه ولم يعمل به فمات على هذا الحال يعد مؤمناً عاصياً فلا يخلد في النار من كان في قلبـه مثقال ذرة من إيمان لأن الله فعال يخرج المؤمنين العاصين من النار الى الجنة"[1] وفتح باب التوبة أمامهم، واخبر عباده بأنه يغفر الذنوب جميعاً، فقـال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

---

(١) ينظر التاج للاصول: ج٥، ص ٤٣٢ والصفحات التي بعدها.

(٢) الزمر: ٥٣

المبحث الثالث

إيمان المقلد بين القبول والرد

لاخلاف في أن أول واجب على المكلف ان يعمل فكره فيما يوصله الى العلم بوجود معبوده من البراهين القاطعة والتصديق بعد العلم[1]، لذا فقد اختلف العلماء في حصول الإيمان بمجرد التقليد، فذهب جمهور العلماء الى عدم صحة الاكتفاء به في العقائد الدينية، وهو مذهب الاشعري، والقاضي عبد الجبار المعتزلي ومذهب السلف الصالح.

وذهب جماعة من العلماء إلى القول بصحة إيمان المقلد الذي لا يستدل على إيمانه، وهو مذهب الامام أبو حنيفة وسفيان النوري ومالك والاوزاعي وغيرهم[2]، إلا أن المذهب الثالث ذهبوا الى كفر المقلد بتركه، النظر قادراً على استخدامه أولاً هذا رأي أبو هاشم الجبائي من المعتزلة، إلا أن بعض علماء المعتزلة ذهبوا الى أن من ترك النظر مؤمن عاص، واكتفى بعضهم بقبول الإيمان إذا كان موافقاً للدليل وفيما يأتي ذكر أدلة هذه المذاهب.

أولاً: استدل القائلون بوجوب النظر وترك التقليد بما يأتي:

١- قوله ﷻ: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ

---

(١) ينظر هداية المريد: الشيخ يوسف السنوس: ص ٤.

(٢) ينظر شرح الفقه الاكبر: ١٣٢.

(٣) سورة هود: ١٤.

شَيْءٍ عِلْماً﴾[1] وقوله تعالى ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾[2]، فأن اليقين لا يحصل بالتقليد، وإنما يحصل بالبرهان والادلة ومطابقة ما جاء بن النبي ﷺ من عند الله بما عندهم من الوحي النازل على النبي موسى عليه السلام وكذلك استدلوا بآيات النظر والتآمل في ملكوت السموات والأرض، وذم التقليد في آيات آخر نذكر منها.

قوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الايَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[4] وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر باستخدام النظر في ملكوت السموات والأرض ليصل العاقل المتآمل الى اليقين، لأن المقلد الذي يرفض الإيمان لا يفيده الآيات والانذار، وكذلك يلفت انظار الناس ليتأملوا في النظام التام الذي أودع في اجزاء السموات والأرض المربوطين بالحق الذي لا مرية فيه لا شذوذ ولا تنافر بين اجزائهما وبهذا أمر الله بارجاع البصر ودقة النظر في خلق الله يظهر له مقدرته تعالى وبديع صنعه فيقول ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾.

---

(١) سورة الطلاق: ١٢.

(٢) المدثر: ٣١.

(٣) يونس ١٠١.

(٤) الروم: ٨.

فهذه الآية تظهر لنا وجوب النظر وترك التقليد في الاعتقاد وآيات أخرى كثيرة في الاجتهاد ومعرفة الله عن دليل واعتقاد جازم[1]. وذلك لان الله تعالى امرنا بسؤال اهل الذكر والاطلاع على الادلة حتى نفهم الادلة كما قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[2] واكد الشاطبي هذا المعنى بقوله (والمقلد غير عالم فلا يصح له الا سؤال اهل الذكر، واليهم مرجعه في احكام الدين على الاطلاق)[3] وعندما افتوه (أي العامي) فقد عرف دليله وجزم بصدق ما قالوا، فيكون عالما به اجمالا على حسب علمه لان الامام ابو حنيفة نهى ان يأخذ احد بقوله حتى يعرف دليله فقال لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه)

ثانياً: أدلة الفريق الثاني

استدل أصحاب هذا المذهب بأدلة كثيرة نذكر منها:

١- قوله ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[4] وجه الدلالة أن الإيمان بالله ﷻ أمر فطري وهو الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم وجعل منه حجة قائمة عليهم. ويقول رسول الله ﷺ " كل

(١) ينظر اصول الفقه الاسلامي، الدكتور وهبه الزحيلي. ج٢. ص ١١٢٣ وينظر ارشاد الفحول ص ٨٦٣ وشرح المواقف ج٢، ص ٢٦٥ وعون المزيد لشرح جوهرة التوحيد. ج٢، ص ٩١٤-٩١٥.

(٢) النحل: من الآية٤٣.

(٣) عون المريد جزء ٢ ص ٩١٥ - ٩١٦.

(٤) الأعراف:١٧٢.

مولود يولد على الفطرة[1] " فقال أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ) (أن العوام مؤمنون عارفون بربهم لان فطرتهم جلبت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث ما سواه وان عجزوا عن التعبير باصلاح المتكلمين)[2]، لأن المقلد لا يخلو من نوع علم وإذا لم يقع عنده أن المخبر صادق لا يصدق فيما اخبر به، فمادام وقع عنده أنه صادق ولم يخطر بباله احتمال الكذب وكان في الحقيقة صادقاً نزلة منزلة العالم، لانه بني اعتقاده على ما يصلح دليلاً في الجملة[3].

٢- استدلوا بقول الرسول ﷺ " امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله[4]. وجه الدلالة: ان من اعترف بالاسلام ونطق بالشهادتين يعتبر مؤمناً من غير ان يطلب منه الخوض في الاستدلال واستخدام النظر في حقيقة الإيمان بل اكتفى رسول الله ﷺ بظاهر نطقهم بالشهادة.

٣- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: (ان رجلاً قال لرسول الله ﷺ انشدك لله الله ارسلك ان تشهد ان لا اله الا الله وان ندع اللات والعزى قال نعم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٣، ص ٣١٢، كتاب الجنائز باب اولاد المشركين، رقم الحديث: ١٣٨٥.

(٢) ينظر ارشاد الساري، ج١٠/ ٣٥٨، وينظر تحفة المزيد، ص ٢١.

(٣) ينظر شرح فقه الاكبر، ملا علي القاري/ ص ١٣٣.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج١، ص ١٠٣، رقم الحديث ٢٥، اخرجه البخاري في كتاب الإيمان.

فاسلم[1] فاكتفاء النبي باسلامه وقبول إيمانه وعدم اشتغاله بتعليمه الادلة العقلية دليل على صحة إيمانه بما حدث عنده من قناعة ويقين بما جاء به النبيﷺ من عند الله.

٤- عن أنس بن مالك قال: نهينا ان نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا ان يجيء الرجل من اهل البادية فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله ارسلك فأن صدق قال فمن خلق السماء؟ قال: الله، قال فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله، فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك قال نعم، قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال صدق، قال فبالذي ارسلك الله امرك بهذا قال نعم، قال وزعم رسولك أن علينا الزكاة في أموالنا قال صدق، قال فبالذي ارسلك الله امرك بهذا؟ قال نعم قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال نعم، قال فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال نعم، وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلاً، قال صدق، قال ثم ولى وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن فقال النبيﷺ لئن صدق ليدخل الجنة[2].

٥- في الحديث دلالة على صحة إيمان العوام المقلدين وأنه يكفي إيمانهم بمجرد اعتقاد الحق جزماً من غير شك وتزلزل[3] ويبدو من هذه الأدلة: أن من بني

---

(١) سفن ابي داود، ج٢، ص ٧٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان باب السؤال عن اركان الاسلام رقم الحديث ١٠، ج٢، ص ٢٥.

(٣) ينظر شرح النووي على الحديث ج٢، ص ٢٦.

اعتقاده على قول الرسول ﷺ بعد معرفته بدلالة المعجزة أنه صادق، فهذا القدر كاف لصحة إيمانه، ولا ينافي ذلك استدلال الفريق الاول، القائلين بالنظر والاستدلال وعصيان تاركه، وكلاهما يتفقان في حصول الاعتقاد الجازم الموصل إلى اليقين سواء كان بتقليد جازم أو دليل مطابق للواقع، كل حسب ملكته العقلية ومقدرته المعرفية.

ثالثاً: أدلة المذهب الثالث

لو يستدل اصحاب هذا المذهب بأدلة قاطعة اقناعية سوى قولهم أن الذي لا يعرف الله عن دليل فهو كافر، لأن ضد المعرفة النكرة، والنكرة كفر، وكذلك رجوعهم الى آيات النظر والتآمل واحاديثه، ورأوا أن النظر هو الطريقة الوحيدة لدخول الإيمان في القلوب، فلم يريدوا التعمق في منهج المتكلمين، بل اكتفوا بما لا يخلو عنه ما نشأ بين المسلمين من الاستدلال، ويبدو من قولهم أن المراد بكفر المقلد من أخذ قول غيره من غير دليل واتبعه كما تتبع الدابة صاحبها، وهذا النوع من التقليد في اصول الدين مذموم. وإلا فأن ترك المسألة على اطلاقه يخرج كثيراً من عوام المسلمين عن الإيمان ولهذا تلقى هذا المذهب رد العلماء وانكارهم عليه. فهذا الامام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) يرد عليهم ويقول (اسرفت طائفة فكفروا عوام المسلمين وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالادلة التي حرزها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة، وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين)[1] وجهلوا ما تواترت به السنة، إلا أن المعتزلة مع انكارهم للتقليد فقد دعوا اليه واقروا أن من أنكر قاعدة من قواعدهم فهو مبتدع ولو لم يفهمها ولم يعرف

(١) فتح الباري ج١٣/ ٤٢٩.

مآخذها وهذا محض تقليد، فمن العجب أنهم لا يكفرون من قلدهم ويكفرون من قلد غيرهم[1].

إلا أن وصف المقلد بالكفر أمر خطير يمكن أن نضيق حدة الخلاف إلى أن المقصود بالاستدلال الاجمالي من الدليل بأن يستدل بالمخلوق على الخالق وبالاثر على المؤثر، لا الادلة التفصيلية المنطقية وهذا القدر سهل على كل هو من يريد الوصول الى الحق.

التوفيق بين المذهبين:

من خلال استعراض الادلة يمكن أن نوفق بين وجوب الاجتهاد والنظر وبين كفاية التقليد ونقول:

أن المعرفة بدليل إجمالي يرفع الناظر من حضيض التقليد فرض على كل مكلف لا مخرج عنه، والمعرفة بدليل تفصيلي يتمكن معه من إزاحة الشبه والزام المنكرين وارشاد الباحثين الى الحق فرض كفاية على المسلمين لا بد أن يقوم به البعض.

فمن اثم جزمه من غير نظر فقد أتى بواجب الإيمان فلا يجوز وصفه بتأثيمه، بترك النظر بناء على مجرد احتمال عروض شبهة مشوشة لجزمه لان الواجب عليه ان يجزم وقد جزم فيكون قد ادى واجباً، وما ترك منه شيئاً وكل من لم يترك واجباً معيناً في وقت معين فلا معنى لتأثيمه في ذلك الوقت من جهة ذلك الواجب[2]، وكذلك ذهبوا الى النظر واجب على من لم يحصل له العقد الجازم إلا به، أما من حصل له العقد الجازم بأي طريق كان دونه فلا يجب عليه ولا بأثم بتركه، أما القول

---

(١) المصدر نفسه، ج٣/ ٤٣٣.

(٢) ينظر روح المعاني: ج٢٦، ص ٦٥.

بأن المقلد عاصي وآثم هو المقلد المتردد الذي لا ثقة بإيمانه، لأنه لا عرضت شبهة فإن جزمه وبقي متردداً بخلاف الجازم في إيمانه الناشئ عن الاستدلال فإنه لا يفوت بعروض الشبهة عليه.

وخلاصة القول: ان المقلد المتردد الذي لا يعرف الاستدلال ولا دليل من يقلده لا يقبل إيمانه إلا بعد أن أعتقد وجزم وحصل عنده اليقين الكامل بوجود الله وصدق ما جاء من النبيﷺ .

أما إيمان من استدل إجمالاً أو مقلد جازم او مطلع على دليل من يقلده فإن إيمانه صحيح ومقبول، لان العوام يستدلون بفطرتهم على وجود الخالق، وأما الاستدلال التفصيلي على منهج المتكلمين فهو واجب من يتخصص في اصول الدين ويرد على المنكرين فلا يلزم العوام بذلك فهذا واجب العلماء ليزدادوا إيمانهم ويقينهم بالله جل جلاله وبهذا ينفقان في قبول إيمان المقلد الجازم ورد المقلد الشاك المتردد في إيمانه، ويبقى الخلاف لفظياً.

رأينا في الموضوع:

من الواجب أولاً أن نخرج إيمان الأنبياء عن موضوع التقليد، لأن إيمانهم مبني على استمرار الفطرة النقية وما القى الله في قلوبهم من الإيمان الكامل بكل ما يجب لله وما يجوز وما يستحيل وكذلك يجب أن تعرف أن المراد بالمعرفة الناشئة عن الدليل ليس المراد منه دليل المناطقة ولا استدلال المتكلمين وأساليبهم، فلا يكلف عامة المسلمين بدراسة الفلسفة والمنطق وأن يبحثوا عن العرض والجوهر بل هذه المواضيع من علوم الكفاية إذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين وإنما المراد بالدليل: أي دليل إجمالي يحصل به المعرفة الصحيحة والإيمان بالله سبحانه وتعالى، وقد يكون ذلك عن نظر في عوالم الله تعالى أو تأمل لآياته، والقرآن الكريم أحتوى

عشرات الآيات التي أحتوت على أدلة كثيرة مرئية ومسموعة مما لها وقع في النفوس والقلوب واشد تمكناً في العقول من أدلة المناطقة وبراهين الفلاسفة.

ولابد أن نعرف أيضاً أن الإيمان المطلوب من العباد أمر تكليفي إذ كلفنا سبحانه بمعرفته والتصديق بما جاء به الرسل من عنده ولا شك أن التكليف إنما يكون بفعل مقدور عليه بالاختيار، وهو قسمان:

فعل يتعلق بالجوارح، وهو أركان الإسلام.

فعل يتعلق بالقلوب، وهو الإيمان الذي ما وقر في القلب وصدقه العمل.

والفعل الاختياري يخير الانسان بين آمرين، فهو يتجه إلى أمر ما أو يختار شيئاً فإنما يختاره دون غيره لترجيحه عما سواه، فالمؤمن الذي يختار إيمانه لا يخلو عن دليل مطلقاً. والانسان في فطرته مجبول على تعليل الاشياء وعلى ربط الأمور باسبابها، وهذا يعني ان الانسان مجبول على معرفة الله فيما لو خلي مع فطرته قبل أن يعرض لفطرته عارض يخدش سلامتها، أو يفسدها، فلو سئلنا الرعاة عن وجود الله نسمع جوابهم أن المخلوق لا بد له من خالق فهذا الوجود وتقلبات الزمان أثر من آثار قدرته تعالى، والفطرة دليل واضح لدى الانسان يستدل بها تعليلاً واختياراً لشيء تركا لشيء ناشيء عن علة فهذا أمر بديهي لدى العقلاء، وهذا يعني أن كل مؤمن إيمانه ناشيء عن دليل، ولكن يستطيع التعبير عنه. وتارة لا يستطيع. وتارة يحصل الإيمان بسبب عادي ثم يجتمع حول الدليل والبرهان، لان فكرة الإيمان بالله والاعتراف به موجود عند كل إنسان، يقول ﷻ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

(١) لقمان: ٢٥.

السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ... سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾(٢) أن الاعتراف بوحدانية الله وربوبيته أمر فطري يعترف به الكافر ولكن يكفر هذا الإيمان -يستر- بالعناد والتكبر واللجوء الى حب الدنيا وملذاتها فعبدوا غير الله وجعلوهم وسطاء بينهم وبين الله، واتبعوا اباءهم تقليداً أعمى ودافعوا عن هذا المعتقد الخاطئ والحمية الجاهلية فلعنهم الله وغضب عليهم وفي عصر الفتنة خرج اناس عن دائرة الإسلام وارتدوا ودعوا الناس إلى بدعتهم واتبعوهم من غير سؤال فأخرجوهم عن دائرة الإيمان فرفض الله إيمانهم فلا يقبل عنهم شيء لانهم خرجوا عن الإيمان، ولهذا يحمل قول من قال يكفر المقلد من اتبع غيره من غير دليل وتردد في إيمانه وردد كل ما الى عليه، ويحمل قول من قال بقبول إيمان المقلد الجازم على إيمان عامة المؤمنين الذين آمنوا في صباهم أو تلقوا الإيمان عن علماء مستدلين على إيمانهم وهم يتقون بصدقهم وإيمانهم واجتهادهم جازمين في اعتقادهم غير مترددين واثقين بما جاء من عند الله فإيمانه صحيح ولا غبار عليه، ويحمل قول من قال ان الإيمان لا بد ان يكون ناشئاً عن اجتهاد ودليل اينما يقصدون الدليل الإجمالي لا التفصيلي بالنسبة لعامة المؤمنين، وهذا القدر فرض عين على كل مسلم يدخل دائرة الإسلام ونكتفي بدليل من ميز بين آلهة الأرض الوثنية وبين خالق الكون بإشارته الى السماء فقط ويقبل إيمانه أما الدليل التفصيلي فهذا فرض كفاية على العامة إذا خرج به جماعة سقط الاثم عن الباقين، وهو فرض العلماء يخوضون للرد على المنكرين والجاحدين ورد كيدهم، ودحض الباطل

---

(١) المؤمنون: ٨٤ – ٨٩.

(٢) الزمر: ٣.

واحقاق الحق، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وبهذا نستطيع القول أن الخلاف بين العلماء لفظي وهم يتفقون على قبول إيمان المقلد الجازم ورد إيمان المقلد المتردد الشاك في إيمانه، والامثلة على ذلك كثيرة ابتداء من حركة المرتدين دينهم بعد وفاة النبي ﷺ ومرورا بالخوارج والفرق الضالة الى يومنا هذا. فلم يكن كفرهم لنقص الادلة بل عن عناد وكبر وتمرد وتقليد، لأن الله ذكر حال المشركين بأنهم يعرفون رسول الله ولكنهم أعرضوا عنه فقال تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ﴾[2] وقال تعالى ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[3] الكفار يعرفون الرسول ﷺ حق المعرفة يعرفون نسبه وصفاته وصدقه وامانته، وليس هناك شبهة من الشبه يمكن أن يتمسك بها الجاحدون لرسالته، ولكن كراهتهم للحق جعلهم يبتعدون عن الحق قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[4] وكذلك أهل الكتاب يعرفون النبي اكثر من اولادهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾[5] ويعرفون أن ما جاء به النبي ﷺ هو الحق مصدقاً لما بين وهدى وبشرى للمؤمنين.

وكذلك أن الذين اسلموا في صدر الاسلام وعصر الخلفاء الراشدين وبعدهم عند سماع الدعوى والاكتفاء بما سمعه من دليل دون النظر إلى الادلة

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) المؤمنون:٦٦-٦٧

(٣) المؤمنون:٦٩.

(٤) المؤمنون: ٧٠.

(٥) البقرة: ١٤٦، والانعام ٢٠.

التفصيلية واقتنعوا به وجزموا بلا تردد ولا جـــدال كإيمـــان الخلفـــاء وصحابـــة الرسولﷺ والمؤمنون في ارجاء العالم الاسلامي بعيداً عن الظن الذي لا يغـــني مـــن الحق شيئاً.

وبهذا نستطيع التصريح بالقول بأننا لا نذهب مع الغالبين الذين يكفـــرون من لم يكن مجتهداً في إيمانه، ولم يستخدم النظر في تنقيح الافكار واتباع الحق، بـــل يقبل إيمان المقلد الجازم المختار للإيمان دون غيره لسبب، وأن كل مؤمن تاج لانـــه على بصيرة، وأن إيمانه لا يخلو من دليل مطلقاً، مهما كان هذا الدليل، ولو كان من قبيل استدلال الرعاة وغيرهم، ويرفض إيمان المقلد المتردد الشاك في أدلـــة المقلـــد بفتح اللام وكذلك تقليد المشركين لكبرائهم وسادتهم بلا دليل وهذا هو المذموم في القرآن والسنة، أن في ذلك كذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد.

الخاتمة

بعد سرد آراء العلماء وادلتهم والاطلاع على المصادر ذات العلاقة بالموضوع توصلت الى النتائج الآتية:

أ- أن الإيمان محله القلب وينبثق من خلاله النور الذي يضيء الطريق أمام كل من آمن بقلبه واقره وصدقه العمل ولا يضر هذا الإيمان شيء، وان اكره التلفظ بالكفر، قال ﷻ: ﴿إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[1].

ب- أن الإيمان المستند الى الدليل والنظر في حصوله كل حسب مقدرته العلمية سواء كان الدليل إجمالياً كاستدلال العامة على وجود الله بالمخلوقات والإيمان به، أو تفصيلياً كإيمان العلماء الموقنين بطرق الادلة لرد الباطل واحقاق الحق، هو الإيمان الكامل الذي لا يتردد صاحبه في قبوله والعمل به.

ت- أن إيمان المقلد الجازم، ومن آمن في صباه وأخذ قول غيره واستمر على الفطرة ولم يتردد في إيمانه وعرف صدق من قلده وصدق ما يستدل به إيمان مقبول غير مردود وصاحبه من أهل النجاة بلا شك وريب. وفي ذلك عام المسلمين من أهل الصفاء والتصديق بما جاء به الرسول ﷺ من عند الله.

ث- ان إيمان المقلد لغيره المتردد في قبول الإيمان المتشكك في أدلته وبراهينه، أو يقلد غيره في إيمانه تقليداً أعمى، بحيث إذا خرج من يقلده عن الإيمان خرج المقلد معه وإذا آمن يؤمن معه، فلا يقبل إيمانه، فعليه ان يرجع الى الإيمان عن طريق الادلة الاجمالية ويوقن به، وإلا فهو على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم.

---

(١) النحل: ١٠٦

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

١. أنهى القلائد في تلخيص (أنفس) الفوائد، أحمد فائز بن سيد محمود افندي البرزنجي، ط١، مطبعة الموصل، ١٣١٢ هـ.

٢. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٣. إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد علي الشوكاني، تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق، الطبعة الثانية، دار أبن كثير دمشق ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م.

٤. اصول الفقه الاسلامي الدكتور وهبة الزحيلي، الطبعة الاولى، دار الفكر، دمشق ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٥. الجام العوام من علم الكلام، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الطبعة السابعة، مكتبة الحقيقة، استنبول ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م.

٦. تحفة المزيد على جوهرة التوحيد، ابراهيم البيجوري، بدون طبعة.

٧. ترتيب قاموس المحيط، طاهر أحمد الراوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر.

٨. تفسير أبن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان ١٤٠٢ هـ– ١٩٨٢م.

٩. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٠. تفسير البيضاوي، ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩٢)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

١١. تفسير الرازي، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الزي (ت ٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٩٩٥ م.

١٢. تفسير روح المعاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت١٢٧٠ هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

١٣. سنن أبي داود.

١٤. شرح جلال الدين المحلي على متن جمع الجوامع، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، شركة مساهمة مصرية مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، بدون طبع.

١٥. شرح العقائد النفيسة، سعد الدين التفتازاني، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، مكتبة عيسى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

١٦. شرح الفقه الاكبر، ملا علي القاري الحنفي، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب العربية، القاهرة – مصر.

١٧. صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربية، الطبعة الثانية، بيروت – لبنان ١٣٩٢ هـ–١٩٧٢ م.

١٨. العلم والإيمان، محمد نمر الخطيب، مطبعة بغداد ١٩٧٩ م.

١٩. عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة اهل السنة والجماعة، عبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني، الطبعة الثانية، دار البشائر للطباعة والنشر دمشق ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الثالثة، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر، دمشق مكتبة دار السلام، الرياض ١٤٢١هـ -٢٠٠٠ م.

٢١. كتاب الارشاد إلى قواطع الادلة من اصوال الاعتقاد إمام الحرمين الجويني (٤١٩هـ -٤٧٨ هـ) تحقيق د. محمد يوسف موسى، مطبعة السعادة، مصر ١٣٦٩ هـ- ١٩٥٠ م.

٢٢. كتاب التوحيد، أبو منصور الماتريدي السمرقندي، دار الشرق، بيروت- لبنان ١٩٨٦م.

٢٣. الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكبر الامام محمد بن إدريس الشافعي تحقيق الشيخ محمد ياسين عبد الله مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع بغداد المنصور بدون الطبعة.

٢٤. مجموع مهمات المتون، الطبعة الرابعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م.

٢٥. نور الاسلام، الشيخ عبد الكريم المدرس، الطبعة الثانية، دار العربية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٨ م.

٢٦. هداية المريد، الشيخ محمد بن يوسف السوسي، بدون طبعة.